

الْعَهْدُ

عناصر الموضوع

٤٩٤	مفهوم العهد
٤٩٥	العهد في الاستعمال القرآني
٤٩٦	الألفاظ ذات الصلة
٤٩٨	أساليب القرآن في تعظيم العهود
٥٠١	أنواع العهد في القرآن
٥٠٥	مجالات العهد في القرآن
٥١٣	الوفاء بالعهد

مفهوم العهد

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (عهد) تدل على الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به^(١). والمعنى اللغوي للعهد: الوصية، والأمان، والموثق، والذمة، ومنه قيل للحربي يدخل بالأمان: ذو عهد ومعاهد، وقد عهدت إليه، أي: أوصيته، والمعهود: الذي عُهد وعُرف، وعهده بمكان كذا، أي: لقيته وعهدي به قريب^(٢).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

تنوع المعاني الاصطلاحية للعهد لتنوع العهود واختلاف أنواعها، ولذلك ذكر العلماء مجموعة من التعريفات الاصطلاحية، شرعية كانت أم عرفية، نذكر بعضها منها^(٣):

- كل ما عوه الله عليه.
 - كل ما بين العباد من المواثيق، أو جميع ما انعقد بين إنسانين.
 - الأمان الذي يبذل للذمي على إعطائهجزية والكف عنه.
 - كل ما أمر الله به من طاعته في الآيات الكريمات، ونهى عن معصيته، وكل ما جاء على ألسنة الرسل.
 - كل ما تلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالندور وما يجري مجريها.
 - حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي تلزم مراعاته، وهو المراد^(٤).
- ونلاحظ أيضاً أن هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فكلما يدل على الآخر.

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس ١٦٧ / ٤.

(٢) انظر: الصحاح، الجوهرى ٥١٥ / ٢، مختار الصحاح، الرازى ص ٢٢٠، المصباح المنير، الفيومي ٤٣٥ / ٢.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبرى ١٤٦ / ١٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٤٦ / ١، المفردات، الراغب الأصفهانى، ص ٤٦٣.

(٤) التعريفات، الجرجانى ص ١٥٩.

العهد في الاستعمال القرآني

وردت مادة (عهد) في القرآن الكريم (٤٦) مرة^(١).

والصيغة التي وردت هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿فَالْأُولَا يَكُونُو أَدْنُ لِمَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عَنْدَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]	١٦	ال فعل الماضي
﴿إِنَّرَأَيْهَمْ إِنَّكُمْ يَتَبَقَّبُ إِذَادَمَ﴾ [يس: ٦٠]	١	ال فعل المضارع
﴿وَأَوْفُوا بِمَهْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]	٢٩	المصدر

وجاء العهد في القرآن على خمسة أوجه^(٢):

أحدها: الإمامة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنْأِي عَهْدِ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. يعني: الإمامة.

الثاني: المواثيق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمْ أَخْذَهُمْ عَنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠]. يعني: موافقاً.

الثالث: الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَنَا إِنَّ إِذَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ يَنْهَدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. يعني: ولقد أمرنا آدم.

الرابع: الحلف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِمَهْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]. أي: بالحلف إذا حلفتم.

الخامس: الوفاء بالأمانة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَنَّا إِلَّا كَثَرُوهُمْ مِنْ عَهْدِ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. أي: وفاء وأمانة.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤٩٢.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ١٣٤ - ٣٤٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ الميثاق:

الميثاق لغة:

قال ابن فارس: وثق، الواو والثاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام، ووثقت الشيء: أحكمته، وناقة موثقة الخلق، والميثاق: العهد المحكم^(١)، وقال الفيروزآبادي: «الميثاق: عقد يؤكّد بيمين وعهد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف»^(٢).

الميثاق اصطلاحاً:

عقد أو عهد مؤكّد بيمين ضماناً للوفاء بما تم التوافق من أجله، سواء أكان بين الله وخلقه من النبّيين أو البشر، أو كان الميثاق مما يعقده الناس فيما بينهم.

الصلة بين العهد والميثاق:

الميثاق توكيّد العهد من قولك: أو ثقت الشيء إذا أحكمت شدّه.

وقال بعضهم: العهد يكون حالاً من المتعاهدين، والميثاق يكون من أحدهما^(٣).

٢ الوعد:

الوعد لغة:

قال ابن فارس: «وعد، الواو والعين والدال كلمة صحيحة تدل على ترجمة بالقول، يقال: وعدته أعده وعداً، ويكون ذلك بخير وشر، فأماماً الوعيد فلا يكون إلا بشر»^(٤).

الوعد اصطلاحاً:

أداء ما التزم به المرء لغيره من صلة أو معاملة أو غير ذلك مع عدم الظلم والخيانة^(٥).

الصلة بين الوعد والعقد:

أن العهد ما كان من الوعد مقوّون بشرط، نحو قولك: إن فعلت كذا فعلت كذا، وما دمت على ذلك فانا عليه، ويقال: نقض العهد أخلف الوعد^(٦).

(١) مقاييس اللغة ٨٥ / ٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز ١٥٨ / ٥.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري ص ٥٧.

(٤) مقاييس اللغة ١٢٥ / ٦.

(٥) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٥، ٢٩٢٥.

(٦) الفروق اللغوية، العسكري ص ٥٧.

العقد لغة:

قال ابن فارس: «عقد، العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، من ذلك عقد البناء، والجمع أعقد وعقود، وهو نقىض الحل، ويأتي بمعنى: العهد، ويأتي بمعنى الربط بين أطراف الشيء^(١).

العقد اصطلاحاً:

وهو، اتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كل منهما تنفيذ ما اتفقا عليه، ويُجمَعُ على عقود^(٢).

الصلة بين العقد والعهد:

أن العقد أبلغ من العهد، تقول: عهدت إلى فلان بكذا، أي: ألزمته إياه، وعقدت عليه وعقدته: ألزمته باستيقاظ.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٨٦، لسان العرب، ابن منظور ٣/٣٦٣.

(٢) التعريفات، الجرجاني ص ١٥٥.

أساليب القرآن في تعظيم العهود

والعقود^(١).

وكما أن التقوى ومحبة الله عز وجل جزء من يوفى بعهده، تأتي آية أخرى لتقابل معنى هذه الآية حيث جعل الفسق عاقبة النافقين لعهد الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ شَكَلُقِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

يخبر الله تعالى عن جزاء الذين يخونون العهد، ويكتمون ما أنزل الله، ويفيدون بالحق الباطل، ويستبدلون بكلام الله وأوامره عوضاً حقيراً وثمناً قليلاً، وهو متعاجل الدنيا من الترؤس والارتقاء ونحو ذلك.

ذلك الجزاء هو خسارة نعيم الآخرة، واستحقاق غضب الله وسخطه، وعدم الثناء عليهم، وانعدام الإحسان إليهم والرحمة بهم، والاستهانة بأحوالهم وأوضاعهم، ولهم عذاب مؤلم شديد في نار جهنم، وقد عبر الله تعالى عن كل ذلك بطريق المجاز، فجعل نكث العهد وأخذ شيء مقابلة بمثابة الشراء والمعاوضة، ولكنها صفقة خاسرة؛ لأن المقابل أو الثمن مهما كان كثيراً فهو في الواقع قليل إذا قيس بعظم الجرم والذنب

نزل القرآن بلسان عربي مبين، على أفسح العرب وأقوامهم لساناً، وكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث تحداهم الله أن يأتوا بمثله، بل أن يأتوا بsurة منه، فهذا القرآن المعجزة يقف المسلم أمامه منبهراً بين الإعجاز وبين سلاسة الأسلوب وسهولة العبارة وقوة نفادها إلى أعماق القلوب، لا تعقيد ولا تكلف ولا تركيب.

وفي هذا المبحث نقف على الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في تعظيم العهد.

١. الخبر.

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن العهد بصيغة الخبر، وهذه الآيات توضح عاقبة نقض العهد، أو جزاء الوفاء به، وسيتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية.

يخبر الحق تبارك وتعالى عن جزاء من أوفى بعهده، قال تعالى: ﴿فَبَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَلَأَنَّقَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]. أي: فإن كل من أوفى بما عاهد عليه، واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإن الله يحبه ويرضى عنه؛ لأن الله عهد إلى الناس في كتبه أن يتزموا الصدق والوفاء بالعهود

(١) انظر: التفسير المثير، الزحيلي ٢٦٨ / ٣.

بمقتضاه، وتحقيقاً لعبودية الله وطاعته.

٣. أسلوب الاستفهام.

ورد أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم بصيغة كثيرة، ذكر بعضها منها:

١. بصيغة الاستفهام التوبيخي: قال تعالى:

﴿أَلَّا أَغْهِنَّ إِنَّكُمْ يَتَبَقَّى عَادُمٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَذَّابٌ مُّبِينٌ﴾

[س: ٦٠].

٢. بصيغة الاستفهام الإنكاري: قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَبْيَامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَخْذُمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدَهُ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقوله تعالى: **﴿كَيْفَ يَكُونُ الْمُشْرِكُونَ عَهْدُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾** [التوبه: ٧]

[٧].

٣. بمعنى النفي: قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَوْفَ**

بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبه: ١١١].

نلاحظ مما سبق أن الاستفهام بأنواعه أحد الأساليب البلاغية التي عُرضت فيها قضية العهد توبيخاً وإنكاراً ونفياً.

٤. الترهيب والترغيب والوعيد.

من أبرز الأساليب القرآنية في عرض قضية العهد، أسلوب الترهيب والترغيب، والوعيد والوعيد، بل إن أغلب الآيات التي

وشدة العقاب الذي يلقاه في الآخرة^(١).

نلاحظ روعة الأسلوب القرآني في هاتين الآيتين، حيث جعل الوفاء بالعهد في الآية الأولى سبباً لمحبة الله ورضاه، وجعل خيانة العهد في الآية الثانية سبباً للخسارة في الآخرة، واستحقاق غضب الله وسخطه.

٢. الأمر.

يعتبر أسلوب الأمر في القرآن الكريم بشكل عام من الأساليب التي يتتسابق المؤمنون العاملون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تل落 ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان،وسأذكر هنا بعض الآيات التي توضح هذا الأسلوب:

قال تعالى: **﴿إِنَّبَقَ إِنْزَهَ يَلِ أَذْكُرُوا نَعْمَنِي أَلَّيْ أَنْتَ عَلَيْنَكُو وَأَنْقُو يَهِي أُوفِ يَهِدُكُمْ وَلَيَتَنِي فَارَهِبُونَ﴾** [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: **﴿وَعَمِدَ اللَّهُ أَوْفَوْا﴾** [الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾** [النحل: ٩١].

وقال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا كَانَ مَسْتَحْلاً﴾** [الإسراء: ٣٤].

نلاحظ من خلال الآيات السابقة أن الأمر يتكرر، تعظيماً لشأن العهد، وتنبيها على وجوب الوفاء به، وعدم الإخلال

(١) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي . ١٤٩/٢

من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُرُولَمْتُنَاهُمْ
وَعَهْدُهُمْ رَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].
ويكون جزاؤهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّرُونَ
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرَدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَلِيلُهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

ففي هذه الآيات ترغيب للاتصال
بصفوف المؤمنين لنيل رضى الرحمن عز
وجل.

وفي سورة البقرة قصة بنى إسرائيل،
وكيف نقضوا العهود، وكيف كان جزاؤهم
مقابل هذا النقض.

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَيْنِ الْكَنَبِ
وَكَفَرُوكُنْ بِبَعْضِ فَهَا جَاءَ مَنْ يَعْنَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ إِلَّا خَرَقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يُرْدُونَ إِلَى أَشْدَقِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَنِيمَةٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَقُوا الْحَيَاةَ
الَّذِيَا يَأْتِيَهُمْ فَلَا يَخْفَقُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥-٨٦].

وفي موضع آخر يتضح الوعيد المخيف
لمن استبدل وياع ما عاهد الله عليه بشمن
بخس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَآتَيْنَاهُمْ ثَمَنًا لَلَا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي
الْأَخْرَقَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْطَلِقُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَلَا يُرِيكُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وهناك آيات جمعت بين الوعيد والوعيد

وردت في هذا المجال لا تخلو من أحد
هذين الأسلوبين، وسأذكر هنا بعض الأمثلة
التي توضح كيف عرض القرآن الكريم هذا
الأسلوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَنَّوْلَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ
الْجَنَّةَ يُقْتَلُوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُوْنَ
وَيُقْتَلُوْنَ وَعَدَنَا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ
مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِرْ وَإِنَّمَا يَعْلَمُ بِهِ
وَذَلِكَ هُوَ الْعَزُوزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ١١١].

هذه الآية تمثيل قصد به الترغيب في
الجهاد، عبر فيه تعالى عن بذل المؤمنين
أنفسهم وأموالهم وإثابتهم بالجنة، كرمًا
وفضلاً وإحساناً، عبر عن ذلك بالشراء
والمعارضة، فإنه قبل العرض عما يملكه
بما تفضل به على عبيده المطهعين له، قال
الحسن البصري وقتادة: «بايعهم - والله -
 فأغلبوا ثمنهم»^(١).

ففي هذه الآية يعرض القضية عرضاً يهز
نفس المؤمن هزاً، ويسوقها إلى وعد الله
وترغيبه.

وفي سورة (المؤمنون) توضيح لصفات
المؤمنين، وماذا أعد الله لهم من جراء.

قال تعالى: ﴿فَدَقَّ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٥٣ / ١١

أنواع العهد في القرآن

من خلال استقراء الآيات القرآنية التي وردت في العهد وجدت أن الالتزام بالعهد تارة يكون مع الله تعالى، وتارة بين البشر، فمن أهم تلك العهود والمواثيق ما يلي:

أولاً: العهود مع الله:

لقد أخذ الله عز وجل عهوداً عظيمة وكثيرة على بني آدم حيث حملهم الأمانة التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال، وكان أول هذه العهود الذي أخذه الله تبارك وتعالى على ابن آدم وهو في صليب آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ ذُرِّيَّتَهُ وَأَشَدَّهُمْ عَلَى أَفْسِحِهِمُ الْأَسْتَرُ رِبُّكُمْ قَالُوا إِنَّا شَهَدْنَا أَنَّا قَوْلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقد أخذ الله العهد على عباده جميعاً، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، لأنه ربهم وحالقهم، قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: «والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهو لاءهم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لشبوته مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وموقوفاً على غيره

فمنها قوله تعالى: ﴿لَا كَفَرَ عَنْكُمْ سِيَّئَاتُكُمْ وَلَا دُخَلَّتْ حَتَّىٰ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَهَرٌ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءٌ سَيِّلٌ﴾ [المائدة: ١٢].

يبين الله تعالى في هذه الآية جزاء الوفاء بالعهود، وعاقبة الكفر والعصيان.

سَوْقَنَا وَأَطْعَنَا وَأَنْقَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْمُصْدُورِ» [المائدة: ٧].

فنعم الله عز وجل هي الإسلام والنصر على الأعداء، ومضافاً إليه سائر نعمه عز وجل التي لا تعد ولا تحصى، والعهد والميثاق الذي أخذه عليهم هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وما وقع من مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قطع على نفسه عهداً يجب أن يتلزم به ولا يحيده عنه، وعليه أن يعمل بالأحكام والشريائع التي فرضها الله تعالى عليه، وأن يعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم^(٥).

[انظر: الميثاق: ميثاق الله مع الخلائق]

ثانياً: العهود مع الناس:

العهود التي تقع بين الناس، هي التي تكون بين الإنسان وبين أخيه المسلم، وبين المسلمين وبين الكفار وغير ذلك من العهود المعروفة، فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، فقال عز وجل: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْتَحْلِلاً» [الإسراء: ٣٤].

يعني: أن الوفاء بالعهد مسؤول عنه الإنسان يوم القيمة، يسأل عن عهده هل وفى به أم لا؟، وقال تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ

(٥) انظر: الجواد الحسان، الشعالي ٢ / ٣٦١.

من الصحابة»^(١).

ومن الآيات الدالة على العهود مع الله تعالى، قوله سبحانه وتعالى: «وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا إِنَّ رَبَّكُمْ وَقَدْ أَخْذَ
مِسْكَمَكُمْ لَكُمْ مُّؤْمِنِينَ» [الحديد: ٨].

قال الطبرى: «عنى بذلك: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، وهو قول مجاهد^(٢).

وقال القرطبي: «وقد أخذ منكم ربكم الميثاق والعهد وأنتم في ظهر أبيكم آدم عليه السلام بأن الله عز وجل ربكم لا إله لكم سواه^(٣).

ومن الآيات الدالة على ذلك أيضاً، قوله تعالى: «الَّذِينَ يَنْفَعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مِيَثَاقِهِ وَيَنْفَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوَصِّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَيْرُونَ» [آل عمران: ٢٧].

قال الماوردي في تفسيره لهذه الآية: «إن العهد هو الذي أخذه الله علىبني آدم حين أخرجهم من صلب أبيهم آدم عليه السلام»^(٤).

ومن الآيات الدالة على ذلك، قوله سبحانه وتعالى: «وَإِذَا كُرُوا يَقْرَأُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمِنْذِقَةَ الْذِي وَأَنْقَضُوكُمْ بِمِا لَدُكُمْ قَلْتُمْ

(١) فتح القدير، الشوكاني ٢/٢٩٩.

(٢) جامع البيان ٢٣/١٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٣٨.

(٤) النكت والعيون، ١/٨٩.

ما أمر الله به من إمساك بمعروف، أو تسريع بياحسان، وعليه حمل بعضهم هذا الحديث، ومنها ما لا يوفى به اتفاقاً، كسؤال طلاق اختها ومنها ما اختلف فيه، كاشتراكه أن لا يتزوج عليها، أو لا يتسرى، أو لا ينقلها من منزلها إلى منزله»^(٣).

فلا بد للمسلم أن يؤدي ما التزم من الشروط على عقد الزواج؛ لأنَّه استحل بها الفرج؛ فأيما رجل تزوج امرأة على ما قبل من المهر أو كثُر، ليس في نفسه أن يؤديها حقها؛ فقد خدعها، ووقع تحت طائلة العقاب.

٣. حق الجار.

من العهود حقوق الجار؛ فإنها حقوق يلتزم بها الجار لجاره فطرة وديناً وخلقاً؛ يقول الله تبارك وتعالى: «وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِيَنَ وَالسَّكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْنَنْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا»^(٤) [النساء: ٣٦].

فالإسلام حريص على أن يفي كل جار لجاره بالأمان من ظلمه؛ فلا تستباح محارمه، ولا يُنال عرضه، ولا يستحل ماله، ولا يناله أية صنف من أصناف الأذى.

٤. الوفاء بما التزم به من بيع أو

^(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢١٨/٩.

الله إذا عاهدتم» [النحل: ٩١].

يعني: ولا تخلفو العهد.

العهود مع الناس لها صور شتى، وجميع هذه الصور نردها إلى قول الحق تبارك وتعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْتَحْلِلاً» [الإسراء: ٣٤].

من هذه الصور:

١. سداد الدين.

الدين هو عهد بين الدائن والمدين، فلا بد من الوفاء بهذا العهد، ولقد اهتم الإسلام بالدين؛ لأنَّ أمره عظيم، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على قضاء الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها، أتلفه الله)^(١).

٢. عقد النكاح.

عقد النكاح عهد، قال صلى الله عليه وسلم: (أحق الشروط أن توفوا به، ما استحللتم به الفروج)^(٢).

قال الخطابي: «الشروط في النكاح مختلفة؛ فمنها ما يجب الوفاء به اتفاقاً، وهو

(١) آخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقرار، باب من أخذ أموال الناس يريد إتلافها، رقم ١١٥/٣، ٢٣٨٧.

(٢) آخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في المهر، رقم ١٩٠/٣، ٢٧٢١.

الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان إجارة.

فلا يحل^(٤).

[انظر: الميثاق: الميثاق بين الدول]

الوفاء بما التزم به من بيع أو إجارة، وغير ذلك من المعاملات المالية ما دامت مشروعة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَا أَذْيَانُهُمْ﴾ [المائد: ١].

سواء كانت هذه العقود مبرمة بين المسلم والمسلم، أو المسلم وغير المسلم^(٥).

٥. الوفاء بالعهود بين الدول.

لقد دلت السنة النبوية على احترام العهود، فقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على احترام الأحلاف المعقودة في الجاهلية، وقال صلى الله عليه وسلم مؤكداً على ضرورة الوفاء بأحلاف الجاهلية: (أوفوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيده -يعني الإسلام- إلا شدة)^(٦).

وظل تاريخ الإسلام منذ فجر عهده، وعلى مر مراحله التاريخية، صفحة بيضاء نقية، لم يدنس بخيانة، ولا غدر، ولا نقض عهده، بدون وجود ناقض من العدو^(٧).

قال النووي: «واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية، مرسyi ص ٢١٨.

(٢) أخرجه الترمذى في سنته، كتاب أبواب السير، باب ما جاء في الحلف، رقم ١٥٨٥ / ٤.

وحسنـه الألبـانـي في صـحـيـحـ الجـامـعـ، ٥٠٠ / ١، رقم ٢٥٥٣.

(٣) انظر: الوفاء بالعهود والمواثيق في الشريعة الإسلامية، الحـجـيلـيـ ص ٣٣٧.

(٤) انظر: شـرـحـ النـوـويـ عـلـىـ مـسـلـمـ ٤٥ / ١٢.

بَيْدَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
[البقرة: ١٠]

وقد وردت آيات كثيرة تتضمن لفظ العهد وتشتمل على وجوب الإيمان بالله عز وجل إما بشكل صريح أو ضمني، ففي أول آية في القرآن الكريم يرد فيها لفظ العهد نجد الحكم من الله تعالى على من نقض العهد بالكفر، فلا إيمان إلا بالالتزام بعهد الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِسْأَلَتِهِ وَيَعْلَمُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ يَدْعُهُ أَنْ يُوصَلَ وَيُقْسِطُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۚ ۚ كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٨-٢٧].

فنقض العهد كفر، والالتزام به إيمان كما يتضح من هاتين الآيتين.

ومن الآيات التي تربط بين نقض العهد والكفر، قوله تعالى: ﴿فَمَا نَقْضُهُمْ مِنْ قَبْلَهُمْ وَكُفْرُهُمْ بِإِيمَانِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

ومن الآيات التي تدعو إلى الإيمان بالله عز وجل وتنبه إلى ما أخذه الله على البشر من عهد، ومشنعة^(١) على أولئك الذين لم

(١) الشناعة: الفظاعة، شنع، كرم، فهو شنيع وشنع وأشنع، والتشنيع: تكثير الشناعة، والتشمير، والانكماش، والجد في السير، كالتشنع.
انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٧٣٥.

مجالات العهد في القرآن

يمتد العهد إلى جميع ميادين حياة الإنسان وواقعه، لإصلاح حياة الناس ويدون العهد والوفاء به تفسد حياة الناس وتضطرب، والناظر للأيات القرآنية التي جاءت بالعهود يتضح له أن العهود جاءت في مجالات عديدة، منها: العقيدة، العبادات، الأخلاق، العلاقات مع غير المسلمين، المعاملات، الجهاد في سبيل الله.

أولاً: العقيدة:

من أهم مجالات استعمال مصطلح العهد مجال العقيدة، والمتبوع للأيات التي ورد فيها لفظ العهد يلحظ هذا الجانب بوضوح، وبعد استقراء الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح في الجانب العقدي ينحصر الحديث فيه عن الإيمان بالله وكتبه ورسله والإيمان بالشريائع المنزلة.

١. الإيمان بالله.

يعتبر الإيمان بالله تعالى الأساس الذي تتفرع عنه جميع جوانب العقيدة الأخرى، ونجد أن آيات العهد التي تتعلق بالإيمان بالله تعالى تربط بين الإيمان والعهد ربطاً قوياً، وأن السبب الرئيس في نقض العهود والموائق هو عدم الإيمان أو ضعفه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كُلُّمَا عَاهَدُوا عَاهَدًا﴾

في هذه الآية يدعوا الحق سبحانه وتعالى بنى إسرائيل للوفاء بالعهد الذي عاهدوه عليه، ومن المهد التي أخذها الله عز وجل من بنى إسرائيل: الإيمان بالتوراة، وفي التوراة وجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب المنزل عليه، هذا هو مقتضى العهد الذي بينهم وبين الله جل وعلا، وإيمان بالمنزل، وعدم كفر وابتعاد عن الرشوة بالتوراة، وتحقيق ذلك تحقيق للتقوى **﴿وَإِنَّمَا قَاتَلُوكُمْ لِأَنَّكُمْ تُفَسِّرُونَ﴾**^(٢).

٣. الإيمان بالرسل والأنبياء.

جاء مصطلح العهد في مجال وجوب الإيمان بأنبياء الله ورسله، وذلك في عدة آيات في كتاب الله، فالعهد الذي أخذ على بنى إسرائيل وذكر في القرآن مرات عديدة كان يتضمن وجوب الإيمان برسل الله سبحانه، وبالاخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: **﴿أَوَكُلُّمَا عَنْهُدُوا
عَهْدًا ثَبَدَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾** **﴿وَلَئِنْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَلْ دَفَعَهُمْ
أُولُوا الْكِتَابُ كَيْفَيَةً وَرَأْءَهُمْ
كَانُوكُمْ لَا يَتَّلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٠١-١٠٠].

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود .٩٤/١

يحترموا عهودهم فلم يحققوا الإيمان في أنفسهم.

قال تعالى: **﴿فَمَا كَانُوا لِيَؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِ كَذَّالِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
الْكَافِرِ﴾** **﴾وَمَا وَجَنَّا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِيقِينَ﴾** [الأعراف: ١٠٢-١٠١].

وكما بدأت آيات العهد في القرآن الكريم ^(١) في مجال الإيمان نجد ختامها أيضاً في المجال نفسه، فآخر آية ذكر فيها لفظ العهد وردت في سورة المعارج، مبينة وصف المؤمنين، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ
لَا يَشْرِكُونَ وَهُمْ رَءُونَ﴾** [المعارج: ٣٢].

٢. الإيمان بالكتب المنزلة.

الإيمان بالكتب المنزلة هو الركن الثالث من أركان الإيمان بالله عز وجل، وقد جاء مصطلح العهد في مجال الدعوة إلى الإيمان بكتب الله المنزلة على رسليه، وقد تعددت الأساليب التي ورد فيها هذا المصطلح، يتضح ذلك من خلال الأمثلة:

قال تعالى: **﴿يَتَبَّعُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نَعْمَلَ
الَّتِي أَنْهَمْتُ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَقْتُ عَلَيْهِمْ أُوفِيَ بِعَهْدِكُمْ
وَلَئِنْ فَازُهُمْ * وَمَا امْنَأْتُمْ مَصْدِقًا
لِمَا عَمِلْتُمْ وَلَا تَكُونُوا أَذْلَلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا شَرَّدَ إِيمَانِي
ثُمَّنَا قَلِيلًا وَلَئِنْ فَازُوكُمْ﴾** [البقرة: ٤١-٤٠].

(١) من حيث ترتيب المصحف وليس حسب التزول.

حتى يكون من معجزاته أن تنزل نار من السماء تأكلها النار.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ أَلَا نَتُورُنَّ لِرَسُولِهِ حَقًّا يَأْتِيهِنَا بِعَذَابٍ فَأَكَلَهُمُ الظَّرَفُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَذِي قُلْتُمْ فَلَمْ يَرْفَعُوا مُؤْمِنًا إِنْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِيْنَ ﴾١٨٧﴿ فَإِنَّ كَذَّابَكُمْ فَنَدَكَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءَهُوَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكَتَبِ الْمُُنْبَرِ﴾ [آل عمران: ١٨٣-١٨٤].

رد الله تعالى على الذين استخدمو عهد الله ذريعة للتکذیب بالرسـل فكشف الله عز وجل لرسوله صلـى الله عليه وسلم أن هذا دینـهم وستـة فيمن كان قبلـهم، يرثـها المتأخرـ عن المتقدمـ ويورثـها السـابقـ للـاحـقـ، فـلـقد أـخـذـ اللـهـ المـيثـاقـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ بـالـإـيمـانـ بـمـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـسـلـمـ وـلـاـ يـتـمـ الإـيمـانـ بـهـ إـلـاـ أـنـ يـصـاحـبـ ذـلـكـ دـعـوـةـ النـاسـ إـلـىـ الإـيمـانـ بـهـ وـبـيـانـ أـنـ عـلـىـ الـحـقـ، مـسـتـدـلـينـ عـلـىـ ذـلـكـ بـمـاـ مـعـهـمـ مـنـ التـوـرـاـةـ وـالـإـنـجـيـلـ، مـمـاـ لـمـ يـكـنـ عـنـدـغـيرـهـمـ مـنـ الـأـمـمـ الـوـثـنـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ نـظـرـةـ تـقـدـيرـ وـاحـتـرـامـ لـدـيـنـهـمـ الـذـيـ يـتـمـيزـونـ بـهـ عـنـ غـيرـهـمـ﴾^(٣).

ثانيًا: العبادات:

لقد أمر الله تعالى عباده في كثير من

المصدق لما معهم، والذي معهم هو التوراة، وفي التوراة وجوب الإيمان بالرسـل صـلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـسـلـمـ وـقـدـ أـعـطـواـ العـهـدـ وـأـخـدـ عـلـيـهـمـ الـمـيـثـاقـ بـالـإـيمـانـ بـهـ وـمـاـ فـيـهـ.

قال الزمخشري: «واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا الذين عاهدتـهمـ ثم ينتـضـونـ عـهـدـهـمـ فـيـ كـلـ مـرـةـ وـهـمـ لاـ يـتـقـونـ»^(٤).

وـحـينـ جاءـ الـيـهـودـ وـأـحـبـارـهـمـ رـسـوـلـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ، وـهـوـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـسـلـمـ الـذـيـ يـجـدـونـهـ مـكـتـوبـاـ عـنـهـمـ فـيـ التـوـرـاـةـ طـرـحـ فـرـيقـ كـبـيرـ مـنـهـمـ تـعـالـيمـ التـوـرـاـةـ الـتـيـ تـشـهـدـ بـصـدـقـهـ وـرـاءـ ظـهـورـهـمـ، حـتـىـ لـكـانـهـمـ يـجـهـلـونـ أـنـهـاـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ، وـاتـبـعـواـ مـاـ قـصـتـهـ وـاخـتـلـقـتـهـ الشـيـاطـيـنـ مـنـ السـحـرـ وـالـأـوـهـامـ وـالـمـفـتـرـيـاتـ عـلـىـ عـهـدـ سـلـيـمانـ عـلـىـ السـلـامـ وـمـنـ هـذـهـ الـمـفـتـرـيـاتـ وـالـأـكـاذـبـ زـعـمـهـمـ أـنـ سـلـيـمانـ عـلـىـ السـلـامـ كـانـ سـاحـراـ، وـمـاـ تـمـ لـهـ مـلـكـ الـعـرـيـضـ، وـلـاـ ظـهـرـتـ عـلـىـ يـدـيـهـ الـمـعـجزـاتـ الـبـاهـرـةـ مـنـ تـسـخـيرـ الـجـنـ وـالـرـيحـ إـلـاـ بـهـذـاـ»^(٥).

وـفـيـ الـآـيـةـ التـالـيـةـ يـرـدـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ مـنـ اـدـعـىـ أـنـ اللـهـ عـهـدـ إـلـيـهـمـ أـلـاـ يـؤـمـنـواـ لـرـسـوـلـ،

(١) الكشاف / ٢٢٧.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي / ١٢٣٨.

انظر: المصدر السابق / ٤١٨٧.

الْمُعْتَدِلُونَ الْمُتَهَاجِرُونَ
الْأَرْكَعُونَ الْسَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْمُتَنَفِّضُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ»
[التوبه: ١١٢-١١١].

يأتي وصف المؤمنين الذين يفون ببيعهم - وهو عهد مع الله - يشتمل على عدة أنواع من العبادة تؤهل صاحبها لنيل رضاء الله والحصول على الجنة، وفاءً بعهد الله ووعده^(١).

وفي موضع آخر والآيات تعدد صفات المؤمنين نلاحظ أنه جاء بعد آية العهد مباشرةً أن من صفاتهم المحافظة على الصلاة.

قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُرُّ لِأَمْتَنِتْهُمْ
وَعَاهَدُهُمْ رَعْوَنَ ⑧ وَالَّذِينَ هُرُّ عَلَى صَلَوَتِهِمْ
بِحَاطِطُونَ» [المؤمنون: ٩-٨].

وكان هذه إشارة إلى أن الصلاة من العهد فهم يراعونها بالمحافظة عليها، ومثل ذلك جاءت آية العهد في سورة المعارج حيث تلتتها - بعد آية - آية المحافظة على الصلاة.

قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَنِتْهُمْ وَعَاهَدُهُمْ
رَعْوَنَ ٢٣ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٢٤ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ بِحَاطِطُونَ» [المعارج: ٣٤-٣٢].

(١) انظر: تفسير السمرقندى ٨٩ / ٢.

الأيات القرآنية بالعبادة والالتزام بها، منها هو مجمل كقوله تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» [النساء: ٣٦].
وقال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ لِلنَّاسَ
إِلَّا لِعِبْدِنَ» [الذاريات: ٥٦].

ومنها مفصلاً كقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَأَقْرَأُوا الزَّكُورَةَ وَأَزْكُوْمَا مَعَ الرَّكْعَيْنَ»
[البقرة: ٤٣].

ولقد جاءت الآيات القرآنية الخاصة بالعهود في جانب العبادات لتأكيد على العلاقة القوية بين العهود والعبادات التي شرعها الله تعالى، ومن أوسع المجالات التي استعمل فيها لفظ العهد، مجال الأمر بالعبادة في فروعها المتنوعة.

بعد أن يأمر الحق عز وجل عباده بالإيمان بما أنزل وينههم عن كتمان الحق، وكل ذلك من العهد الذي أخذه عليهم.

قال تعالى: «وَأَذْقَوْهُمْ أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ
وَلَيَتَّقَرَّبُوا فَإِذْ هُبُونَ» [البقرة: ٤٠].

يأمرهم بالعبادة بقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَأَقْرَأُوا الزَّكُورَةَ وَأَزْكُوْمَا مَعَ الرَّكْعَيْنَ»
[البقرة: ٤٣].

وذلك من الوفاء بالعهد الذي طالبهم به، وخوفهم عاقبة التفريط فيه.

وفي موضع آخر: «وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ
مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِرْهُ وَإِنْ يَعْمَلْ بِهِ
وَذَلِكَ هُوَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ١٦١ أَتَشْيَءُونَ

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْهَا مَنْ قَضَى نَحْبَهُ
وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَلَّوْا بَتَدِيكَ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَلِيَذْبَحَ الْمُنَفِّقِينَ إِنْ
شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا*)
[الأحزاب: ٢٣-٢٤].

رابعاً: العلاقات مع غير المسلمين:

جاء الإسلام ليقوي العلاقة بين الأفراد والجماعات والأمم والدول بعضها مع بعض، ويحدد إطارها وسياساتها، وبهذا توافق بالعهود والمواثيق، لتكون عاملاً من عوامل النصر وانتشار الإسلام في كل الدول المعرفة وشرع الإسلام للحاكم المسلم أن يعقد العهود والمواثيق والاتفاقيات في السلم وال الحرب مع الدول الأخرى بما يحقق مصالح الدولة الإسلامية، ويضمن لها استقرارها ونفوذها وسلامتها وقد أوجب الله تعالى الوفاء بتلك العهود والمواثيق وإنماها وعدم نقضها، واعتبر نقضها خيانةً وغدرًا وخداعًا^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدُّوَافَٰتِ عِنْدَ اللَّهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ الَّذِينَ
عَاهَدُوا مِنْهُمْ مِمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ شَرْءٍ
وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ ٥٦﴿فَإِنَّمَا تَنْقُضُونَهُمْ فِي الْحَرْبِ
فَشَرِّهُ يَهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾
[الأحزاب: ٥٥-٥٧].

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن، ناصر العمر ص ١٨٦.

ثالثاً: الأخلاق:

جاء العهد في القرآن الكريم في مجال الالتزام بالأخلاق النبيلة والسلوك الحسن، فكل الآيات التي جاءت مبينة نقض العهد من قبيل مَنْ أَخْدَى مِنْهُمْ، تدل على اتصاف أولئك بأسوء الأخلاق وأقبحها.

قال تعالى: ﴿أَوَكُلُّ مَا عَاهَدُوا عَهْدًا
ثَبَدَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
[البقرة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَآتَيْتَهُمْ ثُمَّ نَكَلُوكَ أُولَئِكَ لَا يَخْلُقُ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَلَا يَرْكَنُونَ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
[آل عمران: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدُّوَافَٰتِ عِنْدَ
الَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ الَّذِينَ
عَاهَدُوا مِنْهُمْ مِمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ شَرْءٍ
وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٦].

وفي المقابل يصف القرآن الذين يوفون بالعهد بأحسن الصفات ومكارم الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْفُرُكَ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْأَسَاءَ وَالصَّرْعَةِ
وَجِنَّ الْأَيْمَانِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُنَفِّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَبَّى مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَلَأَنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُنَفِّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ الْمُؤْمِنُينَ يَرْجِلَ صَدَقَوْا

الأمة إذا فاتت تمكن منها عدوها، فلذلك علق نبذ العهد بتوقع خيانة المعااهدين من الأعداء^(١).

ومما يدلل على أن الدولة المسلمة تحترم العهد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَمْتَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ شَوْهَدٍ حَقَّ مَا يَهَاجِرُوا وَلَمْ يَأْتُنَّ أَسْتَصْرُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمُ الْأَنْصَارُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَتَنَاهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَيْتَنَى وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأفال: ٧٢].

والمعنى: وإن طلب منكم هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا النصرة على أعدائكم في الدين، فيجب عليكم أن تنصروهم، لأنهم إخوانكم في العقيدة، بشرط ألا يكون بينكم وبين هؤلاء الأعداء عهد ومهادنة، فإنكم في هذه الحالة يحظر عليكم نصرة هؤلاء المؤمنين الذين لم يهاجروا؛ لأن في نصرتهم - على من بينكم وبينهم عهد - تقضى لهذا العهد، فاللوفاء بالعهد أولى وأداء حق الميثاق أخرى وأجدى^(٢).

خامساً: المعاملات:

لقد جاء العهد في القرآن الكريم في إطار تنظيم التعامل بين الناس لتحل الثقة والأمانة مكان والخوف والخيانة، ولكي يتضح هذا

توضيح هذه الآيات أنه إذا حصل عهد بين دولة الإسلام وأي دولة أخرى وقامت الدول الأخرى بنقض هذا العهد، فهم عندئذ أضل من الدواب وجزاؤهم شديد وعقابهم أليم، ليكونوا عبرة لغيرهم ونكاياً للآخرين. وفي المقابل إن بلغ الدولة المسلمة أن قوماً من عاهدوا يريدون الخيانة ويخططون لها، فلا يجوز للمسلمين أن ينقضوا العهد فجأة ويدون سابق إنذار، ما لم يكن هناك من البراهين الظاهرة على مباشرتهم لنقض عهودهم، وإنما لا بد من نبذ العهد وإعلامهم بفسحة قبل حربهم ومناجزتهم احتراماً للعقود.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خَيَانَةً فَأَنْذِلَتْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ لِلْمُنَافِقِينَ﴾ [الأفال: ٥٨].

قال ابن عاشور في هذه الآية: «إنما رتب نبذ العهد على خوف الخيانة دون وقوعها؛ لأن شؤون المعاملات السياسية والحربية تجري على حسب الظنون ومخالل الأحوال، ولا يتضرر تحقق وقوع الأمر المظنون لأنه إذا تريث ولادة الأمور في ذلك يكونون قد عرّضوا الأمة للخطر، أو للتورط في غفلة وضياع مصلحة، ولا تدار سياسة الأمة بما يدار به القضاء في الحقوق؛ لأن الحقوق إذا فاتت كانت بليتها على واحد، وأمكن تدارك فاتها، ومصالح

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/٥٢.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٦/١٦٨.

وَمَا تَبَيَّنَ لِهِنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ
شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَّنَا وَإِثْمًا مُّبِينًا *
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْعَنَ بَعْضَكُمْ إِلَى
بَعْضٍ وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِّيشَنًا غَلِيلًا *
[النساء: ٢٠ - ٢١].

ففي هاتين الآيتين يتضح اهتمام القرآن في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة عند الزواج وعند الطلاق.

٢. الكيل والميزان.

يجمع الله عز وجل بين الإيفاء بالكيل والميزان وبين الوفاء بالعهد مما يؤكّد على العلاقة القرية بين العهود والوفاء بالكيل والميزان.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَغْرِبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا
يَأْلِي إِلَيْهِ حَسْنَ حَسْنٍ يَلْعَنُ أَشَدَّهُمْ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قَلَّتِ الْأَغْدِلُوا وَلَا كَانَ ذَاقُنِي وَعِنْهُ
اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعْنُكُمْ
نَذَّكَرُونَ﴾ [الأనعام: ١٥٢]

٣. الأمر بالعدل والنهي عن البغي.

بعدما ذكر الحق تبارك وتعالي العدل أعقبه بالأمر بالوفاء بالعهد، والتعامل بين الناس إن لم يصاحبه العدل كان بغياً وعدواناً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَإِلَيْهِنَّ وَإِلَيْهِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا
أَرْدَلُمْ أَسْبَدَالَ دُقَقَ مَسْكَانَ دُقَقَ

الكلام نورد بعض الأمثلة:

قال تعالى: ﴿فَبَلَى مَنْ أَوْفَ يَعْدِدُهُ وَأَتَعْنَى فَإِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

فقد جاءت هذه الآية بعد أن ذكر لنا سبحانه واقع أهل الكتاب من حيث التعامل معهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ
يُقْنَاطِرِ بِيُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمَنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يُدِينَاهُ لَا
يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَعْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

وهذا دليل قوي على أن التعامل والتراقيض نوع من العهود يجب الوفاء به، وأي خلل في ذلك فهو خيانة ونقض للعهود، وهذا ما أكد عليه قوله تعالى: ﴿هَيَأْتِيهَا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا أَوْفُوا بِالْمُعْهُدِ﴾ [المائدة: ١].

ومن المعاملات التي عمل القرآن الكريم على تنظيمها بين الناس، ولها ارتباط وثيق بالعهد ما يلي:

١. الزواج والطلاق.

الزواج والطلاق نمط من أنماط التعامل البشري يحتاج إلى ضمانة قوية تضفي على طرفي العقد الود والوثام بعيداً عن أي محاولة للمكر والخداع، ولنلمس قوة هذا العقد وأهميته في ميزان الإسلام من خلال هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا
أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ دُقَقَ مَسْكَانَ دُقَقَ

**الْمُؤْمِنُونَ أَفْسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْتِي
لَهُمُ الْجَنَّةُ يَقْرَبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّورَةِ
وَإِلَيْهِ يُنْصَلِّ وَالْفُرْقَانُ [التوبه: ١١١].**

والتعبير هنا بالاشتاء كنهاية لجامع ما بينهما من الإيجاب والقبول، يؤكده التصریح بالعهد من الله جل وعلا^(٢).

وفي موضع آخر يعني الله على المنافقين سوء فعلتهم يوم الأحزاب وفرارهم عن الجهاد في سبيل الله، مع أنهم قد أعطوا عهودهم ومواثيقهم لا يفرروا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهُدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُولُونَ الْأَذْنَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْتَحْلِلاً﴾ [الأحزاب: ١٥].

ولكنهم خانوا وعدروا وبثس ما فعلوه. وفي المقابل يمدح الله تعالى المؤمنين لصدقهم ولو فائهم بعهودهم وثباتهم في ساحة الجهاد، وكانت أرواحهم ثمناً للوفاء بعهودهم.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فِيهِمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمَنْ هُمْ
مَنْ يَنْظَرُ وَمَا يَدْلُو أَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فهاتان صورتان متقابلتان: صورة المؤمنين بوفائهم وصدقهم مع الله، وصورة المنافقين بغدرهم وخيانتهم وسوء فعلتهم وهكذا يبدو شأن الجهاد في سبيل

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٩/٢١.

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُكُمْ
لَمَّا كُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدَ
اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا آتِيَنَّ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

٤. الأمانة.

تعتبر الأمانة من أهم أشكال التعامل وأخطرها، ومن هنا نجد العناية بها، فنلاحظ الجمع بينها وبين رعاية العهد في موضعين من القرآن، مع أن الآيات السابقة لهذه الآية في الموضوعين واللاحقة كذلك، كل آية منها استقلت في موضوع واحد، بينما جمعاً في آية واحدة، وهذا لم يأت عبثاً، وحاشا لله عن ذلك، وإنما للرابط القوي بين معناهما فالأمانة عهد والعهد أمانة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُرُّ لِأَمْنَتِهِمْ
وَعَاهَدُهُمْ رَبِيعُونَ﴾ [آل المؤمنون: ٨].

سادساً: الجهاد في سبيل الله:

ورأى العهد في مجال الحث على الجهاد في سبيل الله، وبياناً لعظم شأنه وعلو مقامه، وأن التخلف يوم الزحف نقض لعهد الله وانتهاك لحرماته.

فقد جاء قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ
مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبه: ١١١].

بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنْ

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن، ناصر العمر ص ١٠٨.

الوفاء بالعهد

الوفاء فضيلة من فضائل الإسلام العظيمة، والتي حث عليها الإسلام وجعلها دليلاً على الصدق والشجاعة والصبر، ولا يتصف بها إلا عظيم، ولقد جعل الله لكل عهد جزاءً ولكل فعل أثراً، والخوف والرجاء من صفات النفس البشرية، فهناك نفس تنقاد مع الوعيد وأخرى تخشى الوعيد، والمؤمن يعيش دائماً بين الرجاء والخوف.

أولاً: حكم الوفاء بالعهد.

نقض العهد كبيرة من كبائر الذنوب: وقد أمر الله المؤمنين بالوفاء بالعهود، وحرم عليهم نقضها فقال: **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَتَّسِلْكًا﴾** [الإسراء: ٣٤].
وقال: **﴿بِيَتَائِبِهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَوْفُوا بِالْمُعْهُدِ﴾** [المائدة: ١].

وتوجد الكثير من الأدلة في الكتاب والسنة التي تأمر بوجوب الوفاء بالعهد وتحرم نقضه، قال ابن عطية: «وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل»^(١).

وقد عد بعض العلماء نقض العهود من الكبائر، ومنهم الذهبي، فقد عدتها كبيرة من الكبائر حيث قال: «الكبيرة الخامسة والأربعون: الغدر وعدم الوفاء بالعهد»^(٢).

الله عظيماً، كيف لا وقد أخذ العهد على المؤمنين بأدائيه والقيام به إلى يوم القيمة! وإن تخلوا عن ذلك ضرب الله عليهم الذلة في الدنيا وعاقبهم في الآخرة.

(١) المحرر الوجيز، ١/١١٣.

(٢) الكبائر، ١/١٦٨.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصل فجر، ومن كانت فيه خصلة منها منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) ^(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أخفر ^(٢) مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل) ^(٣).

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى يمضي أمره، أو ينذر إليهم على سواء) ^(٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيمة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان) ^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم ٣٤ / ١٦.

(٢) أخفر: يعني نقض عهده.

انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢ / ٢٠٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر، رقم ٣١٧٩، ٤ / ١٠٢.

(٤) أخرجه الترمذى في سنته، أبواب السير، باب ما جاء في الغدر، رقم ١٥٨٠، ٤ / ١٤٣.

قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد،

وفيما يلي بعض الأدلة من الكتاب والسنة التي توضح حكم الوفاء بالعهد.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِمَا وَهَدْكُمْ وَلَا تَنْهَا فَارْهُونَ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الظَّالِمُونَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَتُوفِّ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ عَهْدَنَا إِذَا مُنْظَرُهُمْ﴾ [التوبه: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْيَتِيقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا كَانَ مَسْتَحْلِلًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْتَحْلِلًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

من خلال الآيات السابقة يتضح حكم العهود، فالآيات صريحة الدلالة على وجوب الوفاء وحرمة الغدر والخيانة، وجميع الآيات التي ورد فيها لفظ العهد تدل على ذلك المنطوق أو بالمفهوم.

وردت أحاديث كثيرة في وجوب الوفاء بالعهد وإنم من نقض ميثاقه أو غدر بما عاهد عليه، نذكر بعضها منها:

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو

والموفون بعهدهم هم المؤمنون، ففي سورة «المؤمنون» عندما سردت السورة صفات المؤمنين جاء قول الله عنهم: **﴿وَالَّذِينَ هُرُبْلَأْمَنَتْهُمْ وَعَهْدُهُمْ رَغْوَنَ﴾** [المؤمنون: ٨].

فرعاية العهد والأمانة من صفات المؤمنين الصادقين، والتخلي عن تلك الصفة إخلال بهذا الوصف وقدح بالموصوف، ورعاية العهد هنا تشمل العهد العام والخاص، فكل ما صدق عليه لفظ العهد فرعايته من الإيمان.

وفي موضع آخر يأتي الخطاب بأسلوب الاستفهام الذي يوقف الحس ويشير المشاعر، قال تعالى: **﴿وَمَا لَكُو لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُ لِتُؤْمِنُوا يَرِكُو وَقَدْ أَخَذَ مِسْتَقْرِئِنَ كُنُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الحديد: ٨].

في هذه الآية يتعدد لفظ الإيمان ثلاث مرات بصيغ مختلفة في آيه واحدة « لا تؤمنون لتومنوا مؤمنين» وهذا يؤكد أن المؤمنين من أهم صفاتهم الوفاء بالعقود والمواثيق.

٣. محبة الله.

أعلن الله تعالى في كتابه العزيز محبته للمتقين المؤمنين لعهودهم.

قال تعالى: **﴿كُلِّي مَنْ أَوْقَبِ عَهْدَهُ وَاتَّقَنَ قَائِنَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: ٧٦]. **﴿فَاتَّقُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُنَذَّهِمْ إِنَّ اللَّهَ**

ووجوب الوفاء بالعهد أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، ونقضها محرم بصریح الكتاب والسنة.

[انظر الميثاق: حكم الوفاء بالميثاق]

ثانيًا: آثار الوفاء بالعهد:

باستقراء الآيات التي تحدثت عن العهد، نلاحظ الآثار التي رتبها الله عز وجل على الالتزام بالعهد، فمن هذه الآثار:

١. التقوى.

من الشمرات التي تعود على الفرد من خلق الوفاء ومن الالتزام به التقوى، حيث إن الوفاء يورث في القلب التقوى. وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الشمرة العظيمة، حيث ذكر الله عز وجل عدة صفات كريمة شريفة يختتمها بذكر عاقبة المتصفين بتلك الصفات، ونجد أن الوفاء بالعهد بعد الوعد من صفات المتقيين الصادقين.

قال تعالى: **﴿وَالْمُؤْفُوتُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: **﴿وَإِذَا أَخْذَنَا مِسْتَقْمِنَ وَرَغْنَمَ فَوَقَكُمُ الظُّرُورُ خُذُوا مَا أَتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَنَقُّونَ﴾** [البقرة: ٦٣].

٢. الإيمان.

الوفاء بالعهد هو الذي يحقق الإيمان،

يُحِبُّ الْمُتَقِّنَ) [التوبه: ٤].

قال أبو السعود: «الآيات السابقة تشعر بأن التقوى ملاك الأمر، عام للوفاء بالعهود والمواثيق وغيره، وجالبة لمحبة الله تعالى»^(١).

قال الزمخشري: «من وفي بعهده مع الله وانتقى ربه ينال محبة الله تعالى»^(٢).

وبهذا تكون محبة الله ثمرة من ثمار الوفاء بالعهد وأثراً من آثار الالتزام به، ونعم الشمرة لتلك الشجرة، وطوبى لعبد ظفر بمحبة الله ورضوانه، لقد جمعت له السعادة من طرفيها، وفاز فوزاً لا يشقى بعده أبداً.

٤. تكفير السيئات وسبب الدخول الجنة.

الوفاء بالعهود يكفر الله به السيئات والذنوب، ويوجب دخول الجنة ونعمتها الدائم، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: **﴿فَأَوْفُوا بِعِهْدِكُمْ فَلَا تَنْهَا فَارْهُبُونَ﴾** [البقرة: ٤٠].

قال الطبرى: «وعهده إياهم إنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة»^(٣).

وفي سورة المائدة ذكر الله سبحانه أنه أخذ الميثاق والعهد من بنى إسرائيل، ثم بين الجزاء على الوفاء به.

(١) إرشاد العقل السليم ٢/٥١.

(٢) الكشاف ١/٣٧٥.

(٣) جامع البيان ١/٥٥٧.

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَخْكَدَ اللَّهُ مِنْتَقَبَتْ يَوْمَ إِسْرَائِيلَ لَا كَفَرُوا عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَلَا دُخْلَتَكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ﴾** [المائدة: ١٢].

وفي موضع آخر لما ذكر الله صفات أولي الألباب، بين عاقبتهم: **﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَتَتْهُمْ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقْأَمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِثْمَارَ زَقْنَتْهُمْ سِرَّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدِرُّوْنَ بِالْحَسْنَةِ الْسَّيِّنَةَ وَلِتَكَمَّلْ فَمْ عَقِبَ الْأَدَارِ﴾** ^(١) جَنَّتْ عَلَيْنِ يَدْخُلُونَهَا وَمِنْ سَلَّمَ مِنْ مَا يَأْتِيُوهُمْ وَلَدَرْجَهُمْ وَذَرِّيَّهُمْ وَاللَّهُمَّ كَمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابِ﴾ ^(٢) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ يَمَا صَرِّبْتُمْ فَيَقُولُمْ عَقِبَ الْأَدَارِ﴾ [الرعد: ٢٤-٢٢].

ويبيّن الله تعالى في موضع أخرى بأن هذا النعيم الذي يلاقيه الأولياء نعيم دائم مخلدون فيه وبعد أن ذكر الله صفات المؤمنين في سورة «المؤمنون» ومنها أنهم: **﴿وَالَّذِينَ هُرُّ لِأَمْنَتْهُمْ وَعَاهَدُهُمْ رَعْوَنَ﴾** ذكر مالهم فقال: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَرَقُونَ﴾** ^(١) **الَّذِينَ يَرْثُونَ الْفَرَّادِسَ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾** [المؤمنون: ١١-١٠].

[انظر: الميثاق: آثار الوفاء بالميثاق]

ثالثاً: آثار نقض العهد:

إذا كان الوفاء بالعهد آثاراً إيجابية تؤدي ب أصحابها للفوز، فإن نقض العهد يترك آثاراً سلبية تؤدي ب أصحابها إلى الخسران، وإذا كانت الآثار الإيجابية حافظة وداعية المسلم

(١) إرشاد العقل السليم ٢/٥١.

(٢) الكشاف ١/٣٧٥.

(٣) جامع البيان ١/٥٥٧.

وبنفس المعنى في الآية السابقة في سورة النساء، قال تعالى: **﴿فِمَا يَنْقُضُونَ مِيثَاقُهُمْ وَكُفَّرُهُمْ بِمَا كَانُوا أَلَّا يُؤْمِنُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: ١٥٥].

هذا الإيمان القليل هو تصديقهم بعض الأنبياء والكتب وهو إيمان قليل؛ لأنَّه تصدق غير متمنٍ، ولأنَّه لو كان تصدِيقاً حقيقياً لدعاهُم إلى الإيمان بالجميع؛ لأنَّ الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، والكتب تدعُ إلى ذلك، ولذلك فهو إيمان كلا إيمان^(٢). ويأتي الفسوق بمعنى الكفر كما في قوله تعالى: **﴿فَنَهَمُوا عَنِ الْمُؤْمِنَاتِ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيْحُونَ﴾** [آل عمران: ١١٠].

والأيات التي جاءت مبينة فسق من نقض العهد وردت بمعنى الكفر، وذلك تأكيد لما سبق من بيان كفر من تخلي عن العهد، ففي أول آية جاء فيها لفظ العهد والميثاق، حكم الله على الناقضين بالفسق فقال تعالى: **﴿وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَسِيْحُونَ ⑩ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِسْتَقْبَلٍ﴾** [البقرة: ٢٧-٢٦].

وعندما ذكر الله ما أخذه على النبيين من عهد وميثاق، حيث طلب من الأمم الإقرار والتصديق، فلما تولوا انعدامهم بالفسق.

قال تعالى: **﴿فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْحُونَ﴾** [آل عمران: ٨٢].

لللتزام والوفاء، فإنَّ الآثار السلبية أشد إنذاراً وتحذيراً وتخويفاً، وهذه الآثار منها ما يكون في الدنيا، وأعظمها ما سيكون في الآخرة، من هذه الآثار:

١. الكفر والفسق.

قرن الله عز وجل بين الكفر ونقض العهد في كثير من الآيات القرآنية، ولا شك بأنَّ الذي ينقض عهده مع الله فقد كفر، لا سيما وأنَّ الله قد أخذ الميثاق على جميع البشر وهم في عالم الذر، ومن هنا جاء نفي الإيمان عن الناقضين لعهودهم، زجراً وتهديداً لهم.

ففي الآية التالية ينفي الله تعالى الإيمان عن الناقضين لعهودهم: **﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا أَنْدَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِلَأْكُورِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة: ١٠٠].

قال الطبرى في تفسير هذه الآية: «ولذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون الكلام دلالة على الزيادة والتکثیر في عدد المكذبين الناقضين عهد الله، على عدد الفريق، فيكون الكلام حينئذ معناه: أو كلما عاهدت اليهود منبني إسرائيل ربهها عهداً نقض فريق منهم ذلك العهد؟ لا ما ينقض ذلك فريق منهم، ولكن الذي ينقض ذلك فيکفر بالله أكثرهم، لا القليل منهم، فهذا أحد وجهيه^(١).

(٢) انظر: المصدر السابق ٣٦٣ / ٩

(١) جامع البيان ٤٠٢ / ٢

فتحوا مكة، واضطروا إلى طلب الأمان، وصاروا بعد العزة والقوة في غاية الوهن، إلى أن دخلوا في الإسلام، وأكثراهم لذلك كاره^(١)

وبهذا تؤكد لنا هذه الآيات شناعة فعل الناقضين لعهودهم، وسوء جريرتهم، لخروجهم عن أمر الله وميثاقه.

٢. الخسران.

٣. القتل والتشريد.

من الآثار المترتبة على نقض العهد في الدنيا القتل والتشريد، ولقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إن لقي هؤلاء الخائنين ناقضي العهود وتمكّن منهم، أن يعاقبهم عقوبة قاسية تتعدي آثارها هؤلاء المجرمين إلى ما يقف خلفهم ويتربص بالنبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه الدوائر، يكون من آثارها تشريد أولئك المتربصين وتفریق كلمتهم وتشتيت شملهم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْسُخُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُولُونَ ⑤ إِنَّمَا تُنَقْضِيَهُمُ الْحَرَبُ فَتَرَدُّ يَهُمْ مِنْ حَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ⑥﴾ [الأناضال: ٥٦-٥٧].

وهذا ما فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما ظفر ببني قريظة، تنفيذاً لأمر الله من فوق سبع سماوات^(٢).

٤. اللعن وقسوة القلوب.

من الآثار الناتجة عن نقض العهود اللعن وقسوة القلب؛ فعندما نقض بنو إسرائيل

من الآثار المترتبة على نقض العهد الخسران في الدنيا والآخرة، ويتبين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْسُخُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِسْتَقْبَلٍ وَيَنْقُضُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُنَسِّدُوكُمْ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَنَّاسُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

وفي موضع آخر من نفس السورة يؤكد الله لنا أن عاقبة ناقضي العهود والمواثيق الخسران.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخْذَنَا مِنْتَقْبَلُكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الظُّلُّورَ حَذَّلُوا مَا تَبَيَّنَتْكُمْ بِعُقُولِهِمْ وَأَذْكَرُوا مَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَنْقُضُونَ ⑦ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْمُنْتَسِرِينَ ⑧﴾ [البقرة: ٦٣-٦٤].

فإذا كانت خسارة الدنيا يفر منها الإنسان، وتترك آثارها على حياته ومستقبله، فكيف بخسران الدنيا والآخرة؟

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمُنْتَسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسَرَانُ الْمُبِينُ ⑨﴾ [الزمر: ١٥].

قال ابن حجر: «كان عاقبة نقض قريش العهد مع خزاعة حلفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أن غزاهم المسلمون، حتى

(١) فتح الباري، ٦/٢٨٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبراني، ٢١/١٤.

تجسد هذه الآية ما يلحق بالذين يشرون بعهد الله وأيمانهم ثمناً بخسراً زهيداً كيف يكون حالهم يوم القيمة، فلا يكون لهم خلاق ولا حجة ولا نصيب ولا قوام^(٢)، وأشد من ذلك أن الله لا يكلمهم كلاماً يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف، بل ولا يزكيهم ويظهرهم من ذنوبهم وسيئاتهم في موقف يتضرر كل إنسان رحمة الله وعفوه ومغفرته، ونهاياتهم في العذاب الأليم^(٣).

٦. الجنابة على النفس.

نقض العهود تعود جنابتها على النفس.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَقْصِيهِ﴾ [الفتح: ١٠].

فالناقض لعهده يجني على نفسه وبيوبيها، وهذه الآثار هو سببها، وهو حطبها ووقودها.

[انظر: الميثاق: نقض الميثاق سبب للإفساد في الأرض والعقاب في الآخرة]

موضوعات ذات صلة:

البيعة، الثبات، الرجولة، الميثاق

عهودهم كانت العاقبة شديدة والأثر أليم، فقد لعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية، وتبعاً لذلك ضلوا وانحرروا عن سواء السبيل. قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً﴾ [المائدة: ١٣].

وفي موضع آخر يبين الله أن اللعن جزاء لناقض العهود قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَنْقُطُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصِّلَ وَيَمْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَمْ يُمْكِنَ لَهُمُ الْغَنَّةُ وَلَمْ يَمْسِكُوا بِالْأَثَارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

أي: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الذميمة والتي منها نقض العهود والمواثيق، لهم من الله تعالى اللعنة والطرد من رحمته، ولهم فوق ذلك، الدار السيئة وهي جهنم^(٤). هذه الآيات بيان من الله للمصير الذي يتضرر الناكثين لعهودهم الناقضين لمواثيقهم، وهو إنذار وتحذير للمؤمنين بل للناس أجمعين.

٥. الموقف المخزي يوم القيمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ بِهِمْ اللَّهُ وَأَيْمَنَهُمْ ثَمَنًا كِلَّا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ وَلَا يُحَكِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُرِيكُمْ هُنَّ مَهْمَةٌ عَذَابٌ أَيْمَنٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

(١) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي .٤٧٤ / ٧

(٢) انظر: جامع البيان، الطبراني ٦/٧٢٥ .٤٥٩ / ١

